تقدمة الكتاب

إلى مقام جلالة الملك فاروق الأول المعظم

مولاي

ليس هذا الكتاب سيرةً لساكن الجنان المغفور له والدكم العظيم فإنَّ الأوان لم يئن بعد لكتابة هذه السيرة المجيدة ، الحافلة بجلائل الأعمال ، بما يجب لها من عدالة وإنصاف ، ولكنه صفحة تظهر كيف كان جلالته ، طيب الله ثراه ، بناءً بفطرته ، وكيف كان القوة المحركة والدافعة للنهضة التي نهضتها البلاد في عهده من جميع نواحيها ، وكيف أفنى حياته في الحث على العمل وتعهد البناء ، فأدركت مصر على يده ما أدركت من آمال وحققت ما حققت من إصلاح

فإلى مقام جلالتكم أرفع هذا الكتاب ، المتواضع بمجهوده ، الجليل بموضوعه ، ملتمساً أن يفوز بتقديركم العالي ورضائكم السامي ، والله أسأل أن يطيل حياتكم الغالية ، وأن يمدكم بعونه وتأييده لتستوفوا النهضة التي وضع محمد علي الكبير أساسها ، وأقام إسماعيل بنيانها ، ووطد فؤاد العظيم أركانها ، ولتأخذوا يا مولاي بيد مصر نحو ما تريدونه لها من مجد وسؤدد ، والله أكرم مسؤول

الخادم المطيع

كريم ثابت

obeikandl.com

المغفور له الملك فؤاد الأول

obeikandl.com

تمهيد

ليس هذا الكتاب ترجمة لحياة المغفور له الملك فؤاد فإن الأوان الملائم لتدوين سيرته بكيفية جامعة عادلة لم يئن بعد ، فلا يتعرض الكتاب إذن للجانب السيامي من حياة جلالته

وليس غرض هذا الكتاب كذلك وصف مدى التقدم الذي بلغته مصر في أثناء حكم الملك فؤاد فإن التقارير المسهبة المحفوظة في ملفات الوزارات كفيلة باظهار هذا التقدم لمن يرجع إليها الآن أو في المستقبل ، فلا يحتوي هذا الكتاب على تقارير حكومية أو إحصاءات أميرية

وليس المقصود بهذا الكتاب أن يكون كتاباً إنشائياً لتمجيد الملك فؤاد والإشادة بمناقبه ومآثره ، فليس فيه أثر لتنميق في الألفاظ ولا محاولة للعناية بزخرف القول في هذا الباب

فما الغرض منه إذن ؟

الغرض منه هو أن يظهر كيف كان الملك فؤاد بنّاء بفطرته وكيف كانت جهوده موجهة في كل وقت إلى البناء فبنى أسس النهضة الحديثة في جميع نواحي الحياة العامة

والغرض منه هو أن يصف لأبناء الجيل الجديد والأجيال القادمة كيف كانت روح الملك فؤاد البنائية تدفع بجميع مرافق البلاد إلى الأمام وكيف كان

الملك فؤاد البناء يفكر في الجليل من الإصلاحات وفي الصغير منها على السواء

والغرض منه هو أن يبين بالأمثلة ، المجهول منها والمعلوم ، كيف كان يريدها نهضة عامة شاملة ، فقد كان وهو بناء بطبيعته يعلم أن صرح النهضة لا يبنى بالعناية بركن دون ركن فلم يغفل شيئاً

وقصارى القول أن الغرض من هذا الكتاب هو أن يبرز كيف كان الملك فؤاد القوة المحركة للنهضة الإصلاحية بجميع فروعها

هذا هو الغرض الذي توخيته من هذا الكتاب . ولو كان جميع رجالنا الذين عرفوا الملك فؤاداً أو عملوا معه أو اتصلوا به في أثناء اضطلاعهم بأعباء مناصب الدولة عنوا بتدوين مذكراتهم لأحجمت عن إخراجه . . . ولكن نحن إذا استثنينا أفراداً منهم نرى أن الباقين لسوء الحظ لم يسجلوا ذكرياتهم ولا يسجلونها بل حتى الذين كتبوا شيئاً يغلب على الظن أنهم وجهوا همهم الأكبر إلى الحوادث السياسية

فإذا أراد المؤرخ بعد سنين أن يكتب سيرة الملك فؤاد ولا سيما من الناحية البنائية فإنه لا يجد أمامه سوى التقارير والخطب وكتابات الصحف وهي مادة غير كافية للمؤرخ الذي يريد أن يتفهم بروح الرجل الذي يدرس حياته

والمؤرخ الذي لا يتشبع بروح العظيم الذي يكتب عنه لا يستطيع أن يوافي الناس بسيرة يعتد بها و يعتمد عليها ومما لا ريب فيه أن الذكريات الشخصية خير معين لمؤرخ الغد على تحقيق ذلك

ولهذا خطر لي أن أحاول عمل شئ في هذا الصدد آملا أن أضع أمام المؤرخ أو المؤرخين الذين سيكتبون غداً سيرة الملك فؤاد مادة تساعدهم على كتابتها كاملة

وقبل أن أبسط الطريقة التي اتبعتها في العمل أود أن أنوه بأنني لا أدعي أن ما عملته هو خير ما يمكن أن يعمل فإني أول من يعترف بأنه مجهود محدود

وكل ما أرجوه هو أن يرى غيري فيه ما يبعثه على تكملته بما عنده من معلومات

أما الطريقة التي اتبعتها في العمل فمطابقة للغرض من الكتاب وهذا الغرض هو كما قلت أن أظهر بالأمثلة كيف كان الملك فؤاد بناء بفطرته وكيف كان يريدها نهضة عامة شاملة وكيف كان رحمه الله القوة المحركة التي تدفع بجميع عناصر هذه النهضة إلى الأمام

فتحقيقاً لذلك اخترت أمثلة من كل نوع وراعيت في اختيارها أن تكون متفاوتة في ما لها من شأن وخطر استيفاء للغاية من إيرادها ولم أتوسع إلا في المجهول منها . ومع ذلك لم تكن لي مندوحة عن الإشارة إلى بعض المعلوم ليتصل الحديث بعضه ببعض في كثير من أجزائه ولكني وضعت نصب عيني دائماً أن هذا الكتاب ليس ترجمة لحياة الملك فؤاد بل صورة للملك البناء استعنت على تصويرها بذكريات متعددة

أما هذه الذكريات فقد جمعتها من ثلاثة مصادر أساسية : المصدر الأول هو بعض رجالنا الذين عرفوا الملك فؤاداً واتصلوا به و بينهم من عمل معه ولا أخالني مخطئاً إذا قلت إن جل ما أفضوا به إليّ — إن لم يكن كله — ينشر لأول مرة وهو يؤلف الجانب الأكبر من الكتاب

ولم يكن في استطاعتي طبعاً أن أتصل بجميع الذين عرفوا الملك فؤاداً فراعيت في اختيار الذين قابلتهم ما توخيته من بادىء الأمر وهو أن تكون الأمثلة منوعة فكان لا بد من الرجوع إلى رجال ينتمون إلى بيئات شتى لأفوز بأكبر قسط من التنويع في الذكريات وقد ذكرت أسماءهم جميعاً عند إيراد ما سمعته منهم وإني أغتنم هذه الفرصة فأوجه إلى حضراتهم أصدق شكري على المعونة التي أسدوها إليّ

واعتمدت في ما كتبته عن الملك فؤاد وما عمله للزراعة والفلاح على سعادة

محمد زكي الإبراشي باشا وهو الرجل الذي ظل سبع سنوات ناظراً لخاصة جلالته

وأما المصدر الثاني فهو ذكريات شخصية لي عن الملك فؤاد ، فقد كان لي بحكم عملي الصحفي شرف شهود معظم زياراته وجولاته . ولما زار جلالته بعض بلدان أوربا رسمياً في سنة ١٩٢٩ تشرفت كذلك بمرافقته طول المدة التي استغرقتها الزيارة فأتيح لي هنا وهناك أن أقف بنفسي على أشياء كثيرة اكتفيت بالعودة إلى أهمها في هذا الكتاب

بقي المصدر الثالث وهو مراجع أخرى أشرت إلى كل منها في محله

وراعيت في إيراد هذا كله وبسطه أسلوبا يفهمه الطالب الناشئ ولا ينكره المفكر المثقف كما فعلت في كتابي « محمد علي » فشجعني تقدير القراء له على اتباعه هنا موجهاً همي الأول إلى جعله كتاباً حياً عساه أن يوفق إلى وصف ما كانت سيرة الملك فؤاد البناء تنطوي عليه من حيوية أدهشت الناس ولا تزال ذكراها موضوع إجلالهم وإكبارهم

رحم الله الملك فؤاداً الملك البناء العظيم وأحسن إليه في دار الخلد عدا حسناته إلى بلاده وشعبه فقد عاش في حبهما وأفنى نفسه في العمل لهما

فبراير ١٩٤٤